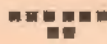


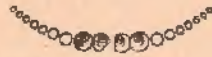


الروض الهتون

في اخبار مكناسة الزيتون



للمؤرخ العلامة المحقق
ابى عبد الله محمد بن احمد بن محمد بن غازي العثماني
المكناسي



طبع بعد الاعتناء بتصحيحه
سنة ١٣٧١ - ١٩٥٢

دار المطبوعات

شارع المأمونية بالرباط — تلفون : ٣٩-٤٨



وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الذي حبب الاوطان ، للطاعين من أهلها والقطان ، والصلاة والتسليم
على سيدنا محمد ذي الشيم الحسان ، وعلى آله وصحبه أولى البر والصبر والتق والاحسان
وبعد فهذا روض هتون ، في أخبار مكناسة الزيتون ، مسقط رأسي ، ومحل انسي
بلاد بها نعلت علي تمائمي * وأول أرض مس جلدي رابها
وانما عرف هذا البلد بهذه الاضافة ليمتاز عن مكناسة تارا وذلك ان من قبائل
زفانة قبيلة يقال له مكناسة، منهم فخذ بتازا شرقاً من مدينة فاس بينهما نحو سبعة برد،
ومنهم فخذتان بهذا الموضع المراد غرباً من مدينة فاس وبينهما نحو ثلاثة برد ونصف
بريد فتميزت احدهما عن الاخرى بما اضيفت اليه ومكناسة الزيتون لها واد يسمى في
القديم فلفلا ويعرف الآن بابي عمائر وفيه يقول شيخ شيوخنا الاستاذ ابو عبد الله
ابن جابر الفسائي في ارجوزته المسماة بزهة الناظر لابن جابر
فلن ترى في سائر العماير * مثل تخاسن أبي عمائر
يمر النهر المذكور من قبله الى جوف قريباً من سورها ، اصله والله تعالى أعلم
من جبل بني قازاز ، ومكناسة هذه بلدة خصبة ذات عيون وأنهار وثمار كثيرة
واشجار وهي كما وصفها ابن الخطيب اذ يقول :

حيث يا مكناسة الزيتون * قد صبح عذر الناظر المفتون
طيب الهواء وصح الماء الذي * يجري بها وسلامة الخزون
وكفاك شاهد حسنهما وجناهما * أن أوثرت بالقرب من زرهون
جبل تضاحكت البروق بحجوه * وجرت عذاب مياهه بعون
فكانما هو بربري نافذ * في لوحه ، والئين والزيتون
وقال الاستاذ ابن جابر الفسائي

لا تتكبر الحسن من مكثاسة * فالحسن لم يبرح بها معروفا
ولئن تحت أيدي الزمان وسومها * فلربما اقبلت هناك حروفا
وهي كثيرة الفواكه والمزارع والمسارح فيها أنواع كثيرة من الهلالج المسمى
بغرب الاندلس : العبقري ، ويسمونه البرقوق لا يكاد يوجد مثله في غيرها من البلاد
كثرة وطياً وغضارة خصت بذلك . وفيها المشمش المسمى بالاندلس : البرقوق ، وفيها
أنواع من التفاح طيبة من جعلتها نوع يسمى الطرابلسي حلو عطر يعقد مرتين في
العام في أكثر الأحوال ويسمون الآخر منه العودة وهو عطر جداً أصغر جرساً من
البطن الاول ، وفيها أنواع كثيرة من الاجاص ، وفيها سفرجل كثير طيب حلو
وحامض ويركب التفاح فيه فيجود ويركب ايضاً فيه الاجاص ، وفيها أنواع من
الزمان كثيرة طيبة كالسفري والراهي وميمونة والنعمي والاخضر ، ورماتها القديم
صنف يقال له القاسبي وهو جليل شديد الحلاوة ذونوى وفيها الجوز والحوخ ، وفيها
من أنواع العنب الابيض والاسود كثير طيب يطبخ ولايزب ، وفيها من التين أنواع
منها الشعري ككشعري اشيلية ومنها نوع يقال له السبي وهو أبيض الطول رقيق
البشرة وهما نوعان طيبان اذا اكلا اخضرين ، ومنها نوع جليل ابيض للخصرة
مستدير يقال له الانبشار يشرح فتاتي شريحته في غاية الطيب وغير ذلك من انواع
التين كالاشكوز والشبي والحراء والغدان والحافر والنقال وغيرها ويجلب اليها البلوط
الجليل الحلو واما الزيتون فهو فيها كثير جداً ولذلك اضيفت اليه واشتهرت به
وبما ولي محمد بن عبد الله بن واجاج في أول أيام الموحدين بلاد المغرب سيقاً وعملاً
غرس بها وفاس وبالمقرمدة وبرباط تازا بحيرات أكثر غراساتها الزيتون فكان حب
زيتون بحيرة مكثاسة يباع عام الحمل بخمسة وثلاثين الف دينار ونحوها وحب زيتون
بحيرة فاس بخمسين الف دينار ونحوها وحب زيتون بحيرة تازا بخمسة وعشرين
الف دينار ونحوها وذلك قبل ان يستولى على المغرب تخريب بني مرين عند اختلال
امر الموحدين ، وفي بحيرة فاس ومكثاسة أنواع كثيرة من الفواكه الصيفية
والخريفية والورد مما كان له غلة جلية ، وفيها أرض يضاء للخضر والكتان تسكرى
بمال جسيم ، وغراسات مكثاسة كلها سقي الا ما كان منها بحكم النادر ، وقد باد زيتونها
لهذا العهد الا قليلاً لما توالي عليها من الفتن والبقاء لله وحده وكانت البلاد قبل فتحها

ديار كفر مجوس ونصاري وحاضرتها اذ ذاك مدينة يقال لها وليلى سميت باسم ملكها وليلى واثارها عظيمة باقية لهذا العهد بارض خير من ناحية جبل زرهون تعرف اليوم بقصر فرعون قيل ولم تكن مكناسة في القديم ممدنة وكانت حوائر كثيرة متفرقة وهي تاورا وبنو عطوش وبنو برنوس وبنو شلوش وبنو موسى وهذه كلها على الضفة الغربية من وادي فلغل المذكور الا تاورا فانها بضعتيها الغربية والشرقية، وغراساتهما كلها منتظمة متصل بعضها ببعض لافاصل بينها وتاورا اقرب الحوائر الى المدينة من جهة باب البراذعين، ومن حوائرها ايضاً بنو زياد وتقع غرباً من الحوائر المذكورة وليست على الوادي المذكور لكن لها منه جدول من نوع ساقية طويلة المسافة صعبة المجرى، ومن حوائرها ايضاً ورزيفة يذكر أن أصل أهلها روم وتقع شرقاً من نهر فلغل وبينها مسافة، ولورزيفة حارتان قريبتان: منها بنو مروان وبنو غفجوم، وبنو مروان اقرب اليها وماؤها من وادي ويسلن من اودية مكناسة وبها عيون وكانت ورزيفة مخصوصة بالامن يسكن أهلها الحيات بالجنسات فلا يلحق أحدهم خوف ولا يتوقعه الامن الاسد خاصة، وبنو زياد ايضاً عيون يسقون بها بعض املاكهم ويسقون بعضها بالساقية الخرجة من وادي فلغل المذكور وبعضها بعل وكان الغناب البعل بها في غاية من الطلب بموضع هنالك يقال له امتروى اليه ينسب الغناب المتروى هنالك قال الاستاذ ابو عبدالله بن جابر في روضة الناظر بعد ما ذكر اصناف الاعناب التي بمكناسة

ليكني اقول دون سوء * ما فاق الاعناب سوى المتروى وهو غناب أبيض شديد الحلاوة ولا سيما الاتى منه ويذكر أنه من قوته لا يستحيل خراً الاعتدال الزمان، ومن غلوهم فيه انهم يقولون انه يستصبح بخمره وهنالك قرية كان يقال لها قرية الاندلس كانت من عمل بني زياد سكنا على قديم الزمان قوم أندلسيون وتناسلوا بها وأقاموا دهرأ لم تتغير ألسنتهم ولا أشكالهم الا من كانت منهم كثير الامتزاج باهل البلاد فانه تغير لسانه وكانت لهم بالقرية المذكور كرمات بعل في أرض رملة حمراء (كذا قيل)، وهذه القرية والله تعالى أعلم هي المسماة في هذه الاعصر تلاجدوت وبها جرى المثل السائر دار الكرامة يا تلاجدوت، ومنها كان الشيخ أبو الحسن علي بن يوسف التلاجدوتي المدعو بسيدى علي بن بشوا

وهو من شيوخ شيخنا الفقيه الحافظ سيدي أبي عبد الله محمد القوري والحطيب البليغ
المصقع سيدي أبي العباس أحمد بن سعيد الحباك الفقيهي، وكلامهم اليوم يتكلمون
برطابة البربر المفرطة في العجمة وكانت حارة تاورا التي هي أقرب
الحوائر إلى المدينة الآن يشقها وادي قلقل ديارها على ضفتيه شرقاً وغرباً
والغراسات بها وبسائر الحوائر متصلة بالديار، وبتاورا أرحي كثيرة كان أكثرها
محتوي على أربعة أحجار وكان من جملتها بيت واحد للزغابشة يحتوي على خمسة أحجار
وكان فيها حمامان اثنان أحدهما منسوب للزغابشة والثاني للمختص يعرف بمحمد - أم أبي
الخيار بازائه عين كبيرة تنسب كذلك لأبي الخيار ماؤها عذب معين صاف تسقى
بها طائفة كثيرة من أملاك تاورا ومن أملاك من تحتها وكانت حارة تاورا تنقسم
اقساماً قسم يقال له بنو عيسى ديارهم بالصفة الغربية من الوادي يذكر أنهم أصل بني
زغبوش لكن لا نعلم صحة ذلك غير أنهم كانوا يمجدون في بعض العقود القديمة نسبتهم
إلى عيسى بلفظ فلان بن فلان العيسوي ويستدلون بذلك على أن بني زغبوش من
بني عيسى والله تعالى أعلم وقسم بالصفة المذكورة قبلة من بني عيسى يقال له بنو
يونس، ويسمى أيضاً هذا القسم تاورا الفوقية وبهذا القسم كان المسجد الجامع وبين
هذين القسمين موضع عال جداً يعرف بالجهنمية، وقسم بالصفة المذكورة يقال له فاس
الصغيرة كانها سميت بذلك لاختراق الماء خلالها كمدينة فاس وبالصفة الشرقية
من الوادي قسم يقال له الجنات الصغير وقسم يسمى بني أبي نواس، وقسم
يسمى حارة بني زغبوش وحارة الزغابشة، وثم كانت ديار بين بني محمد بن حماد وغيرهم
وكان بني زياد حمام وبني مروان حمام يعمران وكان ببني موسى حمام تعطل قبلها والله
تعالى أعلم وكانت هذه المواضع كلها في غاية من الخصب وكثرة المياه والاشجار وكان
أهلها أمانين مطمئنين في عيش رغد ونعمة تامة منذ ملك امرأ الملهين بنو تاشفين
بلاد المغرب وأخذ الله تعالى بسيوفهم نار الفتنة البربرية فانقطعت مطامعهم من النفاق
من بربر المغرب، قيل ولم يكن لهذه الحوائر قديماً مدينة مسورة وكان واليها يكن
قصرأ أدركه القدماء خراباً يعرف بقصر توزيرين ولعل جيمه معقودة وهو على ربوة
من الأرض شرقاً من بني زياد وغرباً من وادي قلقل وجوقاً من المدينة الآن فلما
ظهر أمر الموحدين أحدث المرابطون على الوادي المذكور غرباً منه حصناً سموه

تاجدارت بالجيم المعقودة وكذلك بقي اسمه وتفسير هذا اللفظ المحلة أو المجتمع بلسان
البربر هكذا قيل وهذا الحصن هو المدينة الموجودة اليوم لهذا العهد فلما أخذوا
في بنائها اجتهدوا فيه وأعجلهم الأمر حتى احتاجوا على ما يحكى إلى إقامة شقة
من سورة بالاهوية المتخذة من الدوم لادخار الاطعمة ويسمى واحدها بلسان
البربر اسكل وملؤها ترابا وقاتلوا دونها حتى اكملوا البناء بعد ذلك وفي القطر
المغربى من أبراج سورها برج مبنى بالحجر والجير بناء محكما يسمى برج ليلة سمى
بذلك لانه بنى من ليلته فيما زعموا ونقل الوالى يدر بن ولجوط بالجيم المعقودة إلى
المدينة المذكورة وجوه الناس واغنياءهم ولم يترك من الاقوات شيئا الا نقله إليها
وترك جمهور الناس في مواضعهم فأول غارة شنّها الموحدون على تلك الارض بسوق
الغبار يوم الاحد وذلك انه لما وضعت هذه الموضوعات على الصفة المذكورة من التفرق
كانت لهم سوق غبار بازاء قصر توزجين المتقدم الذكر وهو الذي يسمى بالسور القديم
بالراء او بالسوق القديم بالقاف كما يجري على ألسنة الناس اليوم ومسجد الحصن المذكور
وصومعته لم يزالا قائمين لهذا العهد وكان أهل الحصن وأهل الحوائر يجتمعون إلى
تلك السوق يوم كل أحد ، فبينما هم يوم احد قد اجتمعوا وكملوا بالسوق المذكورة
وهى بارض مرتفعة اذ أشرفوا على خيل مقبلة اليهم فى زى المراكبين : اللثم والغفائر
القرمزية والمهاميز التأشيفية والسيوف المحلاة والعائم ذوات الدواب فلما رأى القوم
هذا الزى قالوا: تقوية السلطان جاءتنا وسارعوا للقائهم فرحين بهم وهبطوا عن
أخراهم فلما خرجوا عن منع الحصن والسوق حصر الفرسان اللثم ونادوا: أبابا يا المهدي
وكان ذلك شعارهم وأحالوا السيوف عليهم ولم ينج واحد منهم فيما ذكر وكانوا آلافا
رحمهم الله ومازال الناس لهذا العهد يتحدثون ان المقابر التي عند باب مسجد السوق
القديم هى مقابر شهداء قتلهم هم والله تعالى أعلم ، وكان الموحدون حينئذ يسمون الناس
المجسمين ويقاتلونهم قتال كفر وكان الناس يسمونهم خوارج ولم تنزل الفارسات
تشن عليهم فقتل الرجال ويسبى النساء والذرية وتستباح الاموال ، والتصديق يتوالى
والمسكائد تدبر والحيل تدار حتى ضاق ذرع الناس بكثرة الوقائع عليهم ، ومن
الاحبار التي كانت مشتهرة عند اهل الوطن انه كان باحوار تاورا شجرة كبيرة من
الثم الاسود المسمى بالتفصاى باشمام الصادين زابين وربما يكتبه المتفحصون

التقصص بقاء وصادق بينا الناس قد انبسطوا لتدبير أشغالهم ومعايشهم اذ فاجأهم
الحيل وأحاطت بهم فاجئوا الى تلك النشمة وظنوا النجاة فيها فتعلق بها منهم خلق
كثير وضم الموحدون الحطب لتلك الشجرة واضرموا النيران حولها فقط كل من
كان فيها واحترقوا عن آخرهم واحترقت النشمة وبقيت منها بقية مدة من الزمان
وكانت عند أهل الاوطان من جملة مواعظ تلك الفتنة فلما فتحت فاس للموحدين
عام اربعين وخمسة اتفقوا الى مكناسة وبينها ما يقرب من اربعين ميلا وانزلوا عليها
وخندقوا عليها خنادق زعموا انها سبعة خنادق ليحصنوا بها محللتهم خوفاً من معرفة
أهل البلد لما علموا من جرأة أهل البلد وشجاعة عاملها بدر بن لجوط (وذكر
ابو زيد ابن خلدون) في كتاب العبر، وديوان المتدا والخبير في أيام العرب والمعجم
والبربر، وغيرهم من ذوي الساطن الكبير : أن عبد المومن بن علي لما فتح
فاس ترك بعض عماله محاصراً لمكناسة وانصرف هو الى حضرة مراکش
فيحاصروا مدينة مكناسة سنين وأشهرات قبل ان السنين سبع وقيل أربع والاختلاف
في أربع واشهر وانما الخلاف في الزائد عليها وكان بعض من يغلوا في مدة الحصار
يقول سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام والله تعالى اعلم ، وحين نزل الموحدون مدينة
فاس كان بها من أهل تاورا أبو محمد عبد الله بن محمد بن حماد بن محمد بن زغبوش
يقراً وسنة يومئذ نحو خمس وعشرين سنة ففشوق أحد الايام للاشراف على محلة
الموحدين فخرج من مجلس القراءة وسط النهار وقد انصرف الناس الى ديارهم
والاسوار خالية الا من حراسها فطلع السور ليطلع منه عليهم فيبنا هو يمشي على
السور حدثته نفسه بالهبوط اليهم فارتاد موضعاً خالياً خفياً عن الحرس وربط عمامة
في احدى شرافات السور وتقلد خريطة كتبه وتعلق بالهمة وكانت ضعيفة فلما ثقلت
انقطعت وسقطت في الارض واعتلت احدى قدميه وتسارع اليه الموحدون ورفعوه في
درقة ووضعوه بين يدي عبد المومن بن علي واكرمه الموحدون وأحسنوا اليه وكتب
له عبد المومن صكاً بقسويغ ماله ومال أبيه وأقام معهم يظمن لظعنهم ويقيم لاقامتهم
مبروراً لديهم عزيزاً عليهم وكانوا يلحظون من يمت اليهم بسابقة أو هجرة فلما نزلوا
مكناسة ظهر عبد الله بن زغبوش المذكور بمحلتهم واتصل ذلك بالوالي بدر بن
لجوط فقبض علي أبيه محمد بن حماد في سبعة من قرابته او مع سبعة منهم ، وكان

محمد هذا فقيهاً خيراً قرأ بقرطبة وبغيرها وصحب جلة من أهل زمانه وثقفهم يدرين
ولجوط في دار وجعل عليهم حراساً ولم يمنع عنهم الزوار واشتد الحصار وتصادى
وهم متفقون الى ان أصبحوا مقتولين ذبحاً وفي الدار ثقب نفذ السور، فقيل انهم
راسلوا عبد الله المذكور في أن يأخذ لهم عهداً او يتحيلوا في الخروج، وقيل ان جماعة
من الموحدين أصبحوا في ذلك اليوم قريباً من الثقب ينتظرون خروجهم فقبل حتى
يسسوا وقيل حتى علموا بقتلهم وقيل ان ذلك الثقب كان من فعل الوالي بعد قتلهم
ليقيم بذلك عند الناس حجة في قتلهم، وذكر بعض الناس ان هذه الرواية أقرب
من الاولى لان والد عبد الله لم يكن راضياً عنه في هجرته اليهم، وزعم أهل
الرواية الاولى ان سبب اتصال عزيمتهم على الخروج بالوالي كان ان احدهم كانت
زوجه من قوم كانوا عدواً لهم فزارته فعرفها بعزيمتهم ثقة منه بها فأخبرت بذلك
أخاها رجاء أن يخرج معهم ويخلص نفسه وحضته على ذلك اشفاقاً منها عليه فشارت
عداوته وأمكنته القرصة فيهم فوشى بهم الى الوالي يدرين ولجوط فنفذ فيهم حكم
الله سبحانه، حكى انه دخل عندهم أمس اليوم الذي أصبحوا فيه مقتولين شاب من
أخوال احدهم من بني علالة وكان حسن الصوت حافظاً لكتاب الله العزيز مجيداً
لقراءته وكانت عادة اذا دخل عليهم يؤنسهم بقراءة القرآن فسألوه في ذلك اليوم
قراءة عشر فقرأ اقربت الساعة فكان ما ذكر من حكم الله فيهم وكان أمر الله قدراً
مقدوراً، وبقي الجيش محاصراً للمدينة وصاحب المدينة يبالغ في نكابة الموحدين
والثبيل منهم والحنادق لا تنفى عن محلتهم شيئاً، ذكر أنهم حفروا اول خندق قريباً
من المدينة فضيق عليهم المرابطون ومن معهم في المدينة حتى رجعوا وراءهم وخندقوا
واخر ولم يزالوا كذلك يضيقون عليهم ويرجعون وراءهم ويخندقون حتى اكملوا
سبعة وامر الموحدين يستوسق وينتشر ويزيد ظهوراً والقبائل تسابعهم وترد عليهم
افواجاً والفتوح تتداسق وسكان الجبال ينزلون اليهم من صياصيا مدعين حتى ان
من قطر مكناسة ونواحيها جبلاً كثيراً مانعاً خصياً يقال له زرهون وفيه من الخلق
امة كثيرة لا تحصى عدة ارسلوا يلعبهم مع جماعة منهم الى عبد المؤمن بن علي وهو
يومئذ بين الصخرتين من أحواز تلمسان وجروا الموحدين على دخول المغرب
واعانواهم على محاصرة مدينة مكناسة فكانوا ابدأً مبغضين لأهل تلك البلاد وكانوا

بسبب سبقهم احراراً من المغارم كتب لهم بذلك صكوكا كانت بأيديهم ولم يتعرض
لاموالهم كما فعل بالاملاك التي اخذت عنوة لسكرتهم كلّفوا اخرّاً من الكلف الطارئة
ما لم يكن لهم بحملة طاقة ولم ينفعهم بدارهم ، وكان ظلمة العمال يسمون هذا الجبل
جبل الذهب ويذكرون أن أصل أهله روم وباسفله على اتني عشر ميلا من مكناسة بموضع
يقال له تازجا أثر بناء عتيق ضخيم يسمى قصر فرعون وكان ثم سوق غيار يجتمع فيها
يوم الاربعاء وتنسب هذه السوق لوليلي ويذكر ان وليلي كان ملك الروم وكانت
له هناك تلك المدينة وهي كانت حاضرة تلك البلاد، كذا ذكر بعض المؤرخين ، ولما
استولى الفتح على المغرب شمل مدينة وليلي وغيرها وبها نزل السيد الطاهر النقي التي
ادريس بن عبد الله رضي الله تعالى عنه على شيخ اورية حسبا هو مذكور في
تاريخه فلما رأى الموحدون انقياد الناس اليهم وتوالي الفتوح عليهم احتقروا حصن
مكناسة واستطالوا مدة اقامة الجيش عليه وظنوا بصاحب الجيش تقصيراً فبعث عبد
المومن بن علي أحد عظماء الموحدين ليطلع على ذلك فوافى الجيش وعاتب أميره
واستنقص جده وحقر الحصن وأميره فأرسل أمير الجيش الى أمير المدينة بدر بن لجوط
يخبره بما لقي من الواصل اليه وسأل منه عملاً يقوم له به الحجة عليه فبينما الموحدون
قد اجتمعوا للقتال وهم يتفاوضون في كيفيته ويتواصون بالعزم والصبر اذا بباب المدينة
قد فتح لعشرة من الفرسان ودفعوا كانهم الطير سرعة او الرعد صولة وضربوا في
الجيش وتبعهم عشرة بعد عشرة الى ان كلوا خسين ونالوا من جيش الموحدين نبالا
عظيماً فرأى الواصل من اقدامهم وجزأتهم وقوة شوكتهم وبشدة بأسهم ما هاله فقام
بلسان المصامدة (ذاً امطرايا) ومعضاء هذا عجب وظهر عند أمير الجيش فيما ظن به
من التقصير وتمادى الحصار واستد التضييق وفيت الاقوات واضطر الناس الى اكل
خسيس الحيوان حتى عدم كل ذلك وهلك الناس قتلا وجوعاً وفتحت البلاد
للموحدين بالمغرب والاندلس طوعاً وعنوة ومات الامير تاشفين بن أمير المسلمين علي بن
يوسف بن تاشفين ملك المرابطين بساحل تلمسان على الضفة المشهورة وقد ذكرها
ابن خلدون وغيره ولم يبق للموحدين مناو ولا منازع ويأس بدر بن لجوط من الفتح
والنصر ولم يكن له بالضبط طاقة فطلب النجاة بنفسه وأهله ومن بقي من فرسانه
خاصة وأسلم المدينة ومن فيها من بقايا المنحصرين للردى وخرج في خمسين فارساً على

ما ذكر ودخل الموحدون المدينة فسفكوا الدماء وسبوا النساء والذرية واستباحوا
الاعمال وتمادوا على ذلك يوماً كاملاً ونادى متاديهم في آخر النهار برفع السيف
وعظم البلاء في ذلك اليوم على الناس وكان ذلك في اول عام خمسة وأربعين وخمسة
وهي ثمانية السنة التي توفي فيها القاضي ابو الفصل عياض بمراكش ومائة السنة التي
مات فيها ابو بكر بن العربي بخارج قاس مسموماً وهو ابو يحيى المشهور مدقته
هنالك . وكان نزول الموحدين على مكثاسة في القول الصحيح آخر عام أربعين فدة
الحصار على هذا أربع سنين واشهر وبقيت المدينة خالية الا من قل الموت قتلاً وجوعاً
وتفرق ذلك الفل وانتثر عقد نظام الناس وجلا بعضهم واشتغل بعضهم بطلب المعاش
وتعلقوا بالحرف والصنائع وتملك الموحدون البلاد والاموال وصار الناس عماراً في
املاكهم يوخذ منهم نصف الفواكه الصيفية والحريقية ومثلثا غلة الزيتون وكانت
العادة اذا بدا صلاح الغلات يباع حظ الخزن منها حارة فحارة وكان المشترون لها
قوماً لا خلاق لهم يقال لهم القشاشون فتستطيل ايديهم على حظوظ الرعية ويضيقون
عليهم حتى يبيعوا منهم حظوظهم بتمن بخس أو يشتروا منهم حظ الخزن غالباً فكان
الناس من ذلك في جهد عظيم ومحنة شديدة لا يتجرأ احدهم ان يقطف من ملكه
حبة واحدة ثم قوطعوا بعد ذلك على الفواكه وخفف عليهم في شركة الزيتون
وكان السبب في المقاطعة والتخفيف قرار الناس عنها بسبب الجور وتركها حتى تيورت ،
فصلحت بسبب المقاطعة أحوال الناس ونمت اموالهم وامتدوا في الاحياء والغراسات
وعمرت المدينة والحواضر والبساتين ونفقت الاسواق وقويت التجارة وصار المسافرون
يزلزون بالمدينة ويبيعون ويشترون وكانت في المدينة بدابة ثم تمددت واكتسبت حضارة
وزيد بعد الستائة في جامعها الاكبر زيادة ظاهرة وجلب اليها الماء على ستة أميال من
عين طيبة الماء عجيبة القدر بموضع يقال لها تاجنيا واجرى الماء الى البساتين الجوفى من
ابواب الجامع وسمى باب الحفاة وكان مقصلاً بالباب الذي يسمى لهذا العهد باب الزرارعين
وبنيت قريباً من هذا الجامع دار للوضوء حافلة على مثال دار الوضوء بفاس وهذا
كله في ايام الموحدين وكان بهذه المدينة في ايام الموحدين ثلاث حمامات البالي والجديد
والصغير وهي باقية لهذا العهد وكان احدث فيها ابو زكرياء يحيى بن غنصالة المهاجر
المعروف بابن اخت الفنس في العشر الثانية من القرن السابع حماماً كبيراً حفيلاً

محكم نجاء في غاية الاتقان، وكان أبو زكرياء هذا فنشياً هاجر الى سلطان الموحيين واستوطن مكناسة مظهراً لدين الاسلام وكان يسكن بها في دار كبيرة بشرقي الجامع الاعظم مقابلة لاحد أبوابه تنسب لمحي بن ابي بكر احد حفاظ الموحيين كان قد ولى العمل بها وكان أبو زكرياء هذا قائد فرسان يتصرف في ردع شرار البربر الرحالين وكان في زى الموحيين فعلاً للجبر محباً في أهله وله في احداث هذا الحمام مناقب اشتهرت عنه من ارضائه اصحاب الدار التي اشتراها لذلك في أثمانها وغير ذلك وعمر هذا الحمام ماشاء الله تعالى ثم خرب منذ زمان وءاثاره باقية لهذا العهد عند سوق القزل منها، وفيه يقول الاستاذ ابو سعيد الله بن جابر في رجزه المسمى نزهة الناظر وانما الحمام كان الفئس * ذاك الذي اذ كان كان العيش وقد ذكرت بذلك يوماً ونحى بها شيخنا الخطيب البليغ ابا العباس احمد بن سعيد الفهميسي فقال يعارضه من غير كبير روية

هناك حمام يشام الفئس * وهو الذي قد كان فيه الفئس
من الرجال ومن النسوان * يكتشف أعضاء لهم حسان
لاجل هذا نايه الخراب * فلم يكن بعد به طباب
بل يانسه ماء والاكواب * فماله في جوفها انساب
وصار مأوى البوم والوطواط * من غير درهم ولا قيراط
والعنكبوت عموت أركانها * بنسج أريدتها انما
كذلك عقبى كل شكل زاه * حيد به عن طاعة الالاه

وقد كان الشيخ احمد اللحياني الورتاجني أيام قيامه بمكناسة احدث بها حماماً حول داره ودثر بعمده ثم عمر لهذا العهد ينسب اليه يقال له حمام المريضي وهو الآن رابيع حماماتها ويقال بلغت عمارتها الى ان كان بها اربع مائة مسجد قال الاستاذ ابن جابر * وحول كل مسجد سقاية * فالحق تعالى اعلم * (وللمدينة ستة ابواب) باب البراذعين وباب المشاوريين وبمقربة منه هوايمي اي تجمي ودار الاشراف وجامع الخطبة القديمة ويعرف لهذا العهد بجامع التجارين، وباب عيسى وباب القبة وكان يسمى بهذا الاسم قبل ان تبنى هنالك القبة على ما يظهر من كلام بعضهم والله تعالى اعلم وباب اقورننج وباب دردورة وربما قيل له باب الصفا وكانت اقطارها سبعة اسباع

ذرهون وبنو كلثوم وبنو ورتكسين وولهاصة وبنو دنسون وابي أرحبان بالحيم المعقودة
 وبنو أبي السمح وبنو هذه البلاد وعمرت ولم تزل في نمو وقوة حتى انتهت مجابها
 الى مئين من الآلاف ثم اختلت بحجور العمال واخذت في النقص من ستة كائنة
 العقاب وكانت كائنة العقاب في صغر من سنة تسع وستائة ثم تعاقب الامر عند قيام
 بني مرين على الموحدين وأنت الغنة على الحوائر المذكورة كلها ودفرت ولم يبق منها
 الا الصوامع والجدران الصيقة ولاحر ما خرب منها ودفرت ورزينة بعد ما كانت هذه
 الحوائر شاركت المدينة المذكورة بعد بنائها في كثرة العمارة والبقاء لله وحده ، نقلت
 اكثر ما ذكرته من تقييد وجدته للقاصي أبي الخطاب سهل بن القاسم بن عبد الله
 ابن محمد بن حماد بن محمد بن زغبوش وقال فيه ان حماداً هذا الذي ينسب اليه بيت
 بني حماد من بيوت الزغابشة كنيته أبو عيسى يلقب بالقي لما تزوج بني دار النارج
 بحارة تاورا في أسرع زمان كان بها مجلس كبير عال يحكم البناء زعموا انه بناء في
 اسبوع وبقيت الدار قائمة يسكنها عقبه الى أوائل المائة السابعة ومحمد بن حماد كان
 فقيهاً قرأ قرطبة وبغيرها وحج جلة من أهل زمانه وهو الذي امتحنه بدر بن الجعوط
 مع قرابته السعة حسبما تقدم وعبد الله بن محمد بن حماد قرأ في صغره بمدينة فاس
 ومنها هاجر الى الموحدين وقرأ بعد على رجال الحضرة ومعهم وكانت له عناية
 بتأليف الامام المهدي وبما املاه خليفته ابو محمد عبد المؤمن وله في اثبات هذه
 الطحاوية موضوع استخراج بالاستقراء من الكتاب العزيز كان شيوخ طلبة الموحدين
 سألون أبدأ عن هذا الكتاب وينشون عليه وعلى واضعه الى أن ولي الشيخ ابو
 ابراهيم اسماعيل بن محمد بن ايوب المصالي باشمام الصاد زاياع عمل مكناسة وكان
 متشيعاً للمهدي حافظاً لتأليفه قائماً على مذهبه من طلبة الموحدين ومن زهادهم وكان
 ناقداً عليهم غير راض عما ابتدعوه فألح في طلب هذا الكتاب حتى ظفر به فكان
 واخر العهد به وكان عبد الله المذكور قد استقضاء امير المؤمنين ابو يعقوب بن عبد
 المؤمن بن علي مدينة شاطبة وجزيرة شقر ومن ذلك الوقت استقر بشرق الاندلس
 بعض ذريته ولما أسن رغب في ايطان بلده فأسعفت رغبته واستوطن داره بتاورا الى
 ان مات سنة اربع وتسعين وخمسة في سن الثمانين وزعموا انه لم يدخل قط تاجدوت
 التي هي مدينة مكناسة ثقة منه لم أصيب به والده وقرابته من المحنة التي تقدم ذكرها

وكانت من انشاء قاضيهم ابي اطرف ابن عميرة ثم بعد ذلك استخلص بنو مري بن بلاد المغرب كلها واستقلوا بالامر وصلحت احوال مدينة مكناسة ولم تعد المعارة بعد ذلك والله اعلم لحوائرها بل صارت كلها جبات وغرس الناس على ردومائها وقد بقي من ذلك لهذا العهد صومعة بني موسى وصومعة بني زياد ومسجد السور القديم وصومعته وحمام بني مروان في عرصة يقال لها اليوم عرصة الحمام وسقطت صومعة ثاورا لنحو ستين سنة والله تعالى اعلم (وذكر ابن خلدون) ان السلطان ابا يوسف المريني لما فرغ من بناء المسجد الجديد المسمى بقاس الحديد أمر ببناء قبة مكناسة له وبني بها السلطان ابو يوسف أيضاً مدرسة الشهود التي باعني سباطهم هناك ويقال لها مدرسة القاضي لانها كان يدرس بها القاضي ابو علي الحسن بن عطية الوائشريسي وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى ثم نوه بها ابو الحسن المريني المسمى بابي الحسنات الكثير الآثار بمغرب الاقصى والاوسط والاندلس فبنى فيها مرافق كثيرة كزاوية الفورجة وزاوية باب المشاورين وغير ذلك من السقايات والقناطير في طرقاتها ونحوها ومن أحل ذلك المدرسة الجديدة وكان قدم لتنظر على بنائها قاضيه على المدينة المذكورة ابا محمد عبد الله بن ابي الغمر ، فحدثني والذي رحمه الله أنه كان يسمع ممن أدرك من الشيوخ ان السلطان ابا الحسن رحمه الله تعالى لما اخبرته بنائها جاء اليها ليراهم فجلس على كرسي من كراسي الوضوء حول صهريجها وجيء بالرسوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة فيها فمرقها في الصهريج قبل ان يطالع بما فيها وأشد

لا بأس بالغالى اذا قيل حسن ❊ ليس لما قرت به العين ثمن

ولما ولى بعده ولده ابو عتات نوه بها أيضاً وتقعد احوالها وكان من جملة ذلك أن أمر بالاقتصار على عشرة من الشهود بها وعزل الباقين على كثرتهم وكان من جملة من اثبت في العشرة الذين عينهم الشيخ ابا علي الحسن بن عطية الوائشريسي رحمه الله تعالى فتش ذلك على بعض شيوخ الشهود المؤخرين لحدائنه سن ابي علي المذكور فصنع ابو علي رجزاً ورفعه الى مقام السلطان ابي عتات يقول فيه

نبداً أولاً بحمد الله ❊ ونستعينه على الدواهي

ثم نوالى بالصلاة والسلام ❊ على رسول دونه كل الانام

وبعد ذا نسأل رب العالمين ❊ أن يهب النصر امير المؤمنين

خليفة الله أبا عثمان * لأزال في يمن وفي أمان
ملكه الله من البلاد * من سوس الاقصا الى بغداد
وليس الحجاز والجهاد * وجل الكل له مهاد
يا أيها الخليفة المظفر * دونك امرئ انه مفسر
عبدكم نجل عطية احسن * قد قيل لا يشهد الا ان أسن
وهو في امركم المهود * من جهة العشرة الشهود
نص عليه أمركم تعيينا * وسنه قارب أربعين
مع الذي ينتسب العبد اليه * من طيب العلم وبخته عليه
على القرائض له ارجوزه * أبرز في نظامها أبرزه
ومجلس له على الرسالة * فكيف يرجو حاسد زواله
حاشا أمير المؤمنين ذاكا * وعدله قد بلغ السهاكا
وعله قد طلق الافاقا * وحلمه قد جاوز العراق
وجوده مشتهر في كل حي * فصر عن ادراكه حاتم طي

ولم يزل أهدأ أيام بني مرين في خير وتروة وكانت الساعة نزلت أيامهم على صومعة
جامعها الاعظم والناس في صلاة العصر فقتلت نحو سبعة رجال وهدت بعض أركان
الصومعة ودخلت في تخوم الارض بباب بازاء الصومعة يعرف اليوم بباب الزراعيين
فانتدب لبنائها شيخ الاسلام الفقيه ابو عمران موسى بن معطي المعروف بالعبدوسي
واستجد أهل اليسار منهم فجمعوا من المال ما أصلحو به ما اتهم من الصومعة
المذكورة في حديثي به والذي والشيخ المعمر ابو زيد عبد الرحمن النيار موقت الجامع
بالمذكور ومزار مؤذنيه وكانت المجاشر محدة بها من كل جهة كل مجشر بمزارعه
وغراساته ومراعيه الى ان ظهر فساد السعيد بن عبد العزيز في أرض المغرب وذلك
في العشرة الثانية من القرن التاسع فخذت المجاشر وانجلى عنها اهلها فيقال خلى من
مجاشرها حينئذ اثنا عشر ألف مجشر والبقاء لله وحده وكان زيتونها الذي تنسب اليه
متصلا بها وبجاراتها من كل جهة وكانت له غلة عظيمة لا يأتي عليها الحصر فلما ثار
بها الشيخ اللحياني الورتاجني وسام اهلها سوء العذاب وضبطها للحصار وعصها
بفائده ليوب بن يعقوب الشجاع الذي اربى بشجاعته وشهامته على عامل المرابطين

بها يدر ابن ولحوظ الذي تقدم ذكره وملكمها اللحياني المذكور نحو عشرين سنة وذلك في العشرة الثالثة والعشرة الرابعة من القرن التاسع فتوالت عليها الفتن بسبب ذلك وانقر زيتونها قطعاً وأحداقاً واتسع الحرق على الراقع ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم تداركها الله سبحانه بدخول الامير ابي زكرياء الوطاسي وكان رضى الله تعالى عنه متمسكاً بالدين محباً للخير مكرماً لاهله متخلفاً بالاخلاق الحميدة والشيم المرضية فأحسن الى اهلها وعفى عن اهل الجفاء منهم واسقط كثيراً من الوظائف الظلمية وجدد بها بعض الرسوم والدارسة وانشأ بجامعها المجلس المسمى بالاسبوع لكون القراء يحتمعون فيه لقراءة القرآن العزيز في كل اسبوع وأمر بتحويل باب الحفاة الى قبة دار الوضوء الكبرى التي تقدم ذكرها ورأى ان ذلك أنسب من الباب الجوفي الذي كان قبل ذلك للحفاة كما تقدم فلما حفر الصناع في الباب الموالي لدار الوضوء المذكورة لينتوا به مجرى الماء وجدوا ذلك هناك مبنيّاً بناء متيناً ولم يكن عدد أحده به علم ولا بقاء من مسني المدينة من عنده من ذلك خبر ففقد الناس العجب من فعلته الامير المذكور رحمه الله تعالى . وكان بهذا البلد علماء احلة فن مشاهيرهم الشيخ الفقيه القاضي الصالح ابو عبد الله بن وريش كان يدرس الموطن بالمدينة المذكورة ويعلم عليه من المتقي للباغي والاستذكار لابن عبد البر ويفتح محسبه بذكر الله تعالى وكان يتبرك به ويلتمس منه الدعاء وقبره هناك معروف بموضع المسمى بمسجد الشجرة ومنهم الفقيه الشهير العالم العلامة حائز قصب السبق في العقول والمنقول ابو عبد الله محمد بن ابي الفضل بن الصباغ رحمه الله تعالى وقد ذكره ابو عبد الله بن مرزوق الجد في كتابه الذي صنف في مناقب ابي الحسن المريني وذكره ابو زيد ابن خلدون في كتاب العبر وذكره ابن الخطيب السلطاني في بعض قهارسه وكان من كبار العلماء الذين استصحبهم السلطان ابو الحسن المريني في حركته الى افريقية كالفقيه الحافظ ابي عبد الله البطي والاستاذ الزراوي واجتمع هنالك بالامامين ابن عبد السلام وابن هارون شارحي ابن الحاجب وبالامامين ابي زيد وابي عيسى موسى ابني الامام التلمسانيين واخذ معهم في العلم واعطى والله تعالى أعلم . وحدثني شيخنا الاستاذ السيد ابو الحسن علي بن منون الحسني انه بلغه عنه انه امل في مجلس درسه بمكناسة على قوله عليه السلام : ايا عمير ما فعل النخيل ، اربعائة فائمة وكنت تأملت هذا الحديث فانقدح لي فيه

ذهب ماثنين وخمسين من الفوائد فقيدت رسومها ولم اجد فرغاً ليدخلها «مافتح الله
لناس من رحمة فلا ممسك لها» وحديثي بعض اعيان الاصحاب انه بلغه ان الفقيه ابن
الصباغ المذكور سمع بمقصورة تلمسان المحروسة يشد كالعنكبوت لنفسه

ياقلب كيف وقعت في اشراكهم * ولقد عهدتلك تحبذ الاشراكا

رضى بدل في هوى وصباية * هذا لعمر الله قد أشقياكا

ومات رحمه الله تعالى غريقاً في اسطول أبي الحسن المريني على ساحل تونس هو
والفقيه السطحي والاستاذ الزواوي وغير واحد في نكبة ابي الحسن المعروفة . ومن
نظمه رحمه الله في العلاقات المعبرة في المجاز وفي المرجحات له

يا سائلا حصر العلاقات التي * وضع المجاز بها يسوغ ويحمل

خذها مرتبة وكل مقال * حكم المقابل فيه حقاً يحصل

عن ذكر ملزوم يعوض لازم * وكذا بعلمه يعاض ملل

وعن المعم يستعاض مخصص * وكذلك عن جزء ينوب المكمل

وعن المحل ينوب ما قد جاءه * والحذف بالتخفيف قبل يحمل

وعن المضاف اليه ناب مضافه * والضد عن اضداده يستعمل

والشبه في صفة تبيين وصورة * ومن المقيد مطلق قد يبدل

والشيء يسمى باسم ما قد كانه * وكذلك يسمى بالبدل ابدال

وضع المجاور في مكانة جاره * وبهذه حكم التعاكس يكمل

واجعل مكان الشيء آتاه وجيء * بتذكر قصر العموم فيحصر

ومعرف عن مطلق وبه انتهت * وجلها حكم التداخل يشمل

وبكثرة وبلاغة ولزومه * لحقيقة رجحانه يتحصل

ومنهم الفقيه الحافظ أبو سالم ابراهيم بن عبد الكريم الجروزي النهم والفقيه ابو
عبد الله القطراني قال شيخنا ابو عبد الله القوري انه بلغه ان أحدهم كان يستظهر
كتاب ابن يونس والآخر يستظهر كتاب نبصرة النخعي ومنهم الفقيه الحاصل
الشريف الحاج ابحاور ابو عبد الله محمد بن ابي البركات الحسني رأيت له نظماً بليغاً
في علاقات المجاز ومنهم الجماعة الذين لقيهم أبو عبد الله بن الخطيب بها عام ٧٧١
احدي وسبعين وسبعائة حسبما ذكر في رحلته المسماة بنفاضة الجراب ، فيمن بق من

الاصحاب ، قال لما دخلها نزل بدار حافية وأنت اليه القضاء والعدل والادب والفضلاء
فمنهم الشيخ الفقيه القاضي كان بها أبو محمد عبد الحق بن سعيد بن محمد كان من أهل
المعرفة والفصاحة قائم على كتاب أبي عمرو بن الحاجب ممتاز به فيما دون تلمس قرأه
على الشيخين علي الأفق القلي أبي موسى وبن زيد ابني الامام وتصدر لاقرائه الآن
فما شئت من اضطلاع ومعرفة، وقيد جزءاً نبيلاً على فتوى الامام أبي بكر بن العربي
المسمى بالحكمة سماه بالحارمة على الرسالة الحاكمة اجد فيه وأحسن وقرأت عليه
بعضه وأذن في تحمله. ومنهم الفقيه الفاضل الخير بونس بن عطية الوائسري له عناية
بفروع الفقه وولى القضاء بقصر كتامة ، ومنهم الفقيه العدل أبو علي الحسن بن عثمان
ابن عطية من أهل الحساب والقياس على الفرائض والعناية بفروع الفقه ومن ذوي
السداجة والفصل وقرص الشعر وله أرحونة في الفرائض مبسطة العبارة متوفية
المعنى ، ومنهم الفقيه العدل الخير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي عفيف المتصدر لقراءة
كتاب الشفا النبوي لديه جملة حسنة من أصول الفقه أشف بها على كثير من مصرائه
قراءة منه ايها على أبي عبد الله محمد بن أبي النضر بن اصباع وشركة في قراءتها
على الامام أبي عبد الله الأبي ، ومنهم الفقيه المدرك الأستاذ في فن العربية أبو علي
عمر بن عثمان الوائسري حضرت مداكرته في مسألة أعوزت عليه وطال عنها سؤاله
وهو قول الشاعر:

الناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً * عالم يرو عنده آثار احسن
وصورة السؤال كيف وقع أفعل من شئ من شئ في الوصف د
وقع الشاعر أكيس بين الناس وبين ان يمدح * وهو مؤرد مصدر وهو مدح ولا
يوصف بذلك ومنهم الشيخ الفقيه العدل الاديب الاحباري المشار أبو جعفر أحمد
بن محمد بن ابراهيم الاوسي الحناني من أهل الظرف والانطباع والفصيلة كاتب عاقد
نظم نثر مشارك في فنون من العلم له تصنيف حسن في ثلاثه أسفار اسمه المنهل المؤبد
في شرح بقصد المحمود شرح فيه وثائق ابن اقسام وأربى على الاحادة بيان وقادة
ونولني اياه واذن في حمله عنه وألشدني كثيراً من شعره ، فمن ذلك ما صدر به رسالة
يهتم بها نافهاً من مرض

البس الصحة رداً قشياً * وارشف النعمة نغراً شديداً

واقطف الامال زهراً نظيراً * واعطف الاقبال غصناً رطياً
ان يكن ساءك وعد تقضى * تجد الاجر عظم رحياً
فاتعش دهرك ذا في سرور * يصبح الجاسد منه كتيب
فان قرأت بلدور الحشى بالدار اندي زلت بها * بيانا متنقشة استحسنتها لسهولتها
فأخبرني أنها من ظمه وهي

انظر الى منزل اذ نظرت * عينك يعجبك كل ما فيه
بنى عن روعة المسالكه * وعن ذكاء الحجا لبانه
يناسب الوشى في أسافله * ما يرقم النقش في أعاليه
صكاته روضة مدبجة * جاد لها وابل بما فيه
فأظهرت للعمون زخرفها * وأوقفتها على تحليه
فهو على هجة تلوح به * وروق للجهل بيديه
بشهاد لسالكين ان لهم * من جنة الخلد ما يحسبه
في ابيات اخر قال وفاتحته محر كا قريحته ومستثيراً ما عنده بقولى:

ان كانت الآداب أصحت جنة * فلقد غدا جنانها الحنان
أفلامه القضب المذان بدوحها * والزهر مارقته منه بنان
وذكر ابن الخطيب بعد البينين سجماً بليغاً ثم قال فراجعتي اجنان بما نصه:
يا صاحب الآداب مهلاً فقد * ردك عن خطبتها ابن الخطيب
هل غيره في الارض كقولها * وشرطها الكفوّة قول مصيب
أصبح للشرط بها * معرّساً * فاستفت في العسح فهل من محجب

أيها السيد الذي يتنافس في لقاءه ويتعالى، ويصادم بولائه صرف الزمان ويعالى،
وتستخرج نتائج الشرف بمقدمات عرفانه، وتقتنص شوارد العلوم برواية كلامه، فكيف
بمدائن عيانه، جلوت على من بذت فسكرك عقائل نواهد، وأقت بها على معارفك
الحمة دلائل وشواهد، واقتنصت بشرك بديهنك من المصالي أوابد شوارد، وفجرت من
بلاغتك وراعتك حياضاً عذبة الموائد، ثم كلفتني من اجراء ضالعي في ميدان ضلوعها،
مقابلة الشمس النيرة بسراج عند طلوعها، فأخذت اخلاص مهيض الجناح، وفردت
فرار الاعزل عن شاكي السلاح، وعمت أنتى ان أخذت تقسى بالمقابلة، وأدليت دلو

فريحتي للمساجلة ، كنت كمن كلف الايام مراجعة أمسها ، أو طلب من عنه السها
محاولة لمسها ، وان رضى من القريحه بسجيتها ، وأظهرت القدر الذي كنت استمحت
من وكتبتها ، أصبحت مسخرة للراوين والسامعين ، ونبت عن اسمى دواوينهم كما تنبوا
عن الانيب عيون العين ، ثم ان أمرك ياسيدي لا يحل وثيق مبرمه ، ولا يحل نسخ محكمه ،
فامثله امتثال من لم يجد في نفسه حرجاً من قضائك ، ورجوت حسن تجاوزك واعصائك ،
أبقاك الله قطباً لفلك المسكرم والمثائر ، وفصلاً لحاتم المحمد والمفاخر ، والسلام . قال ومنهم
القاضي بها الشيخ الفقيه الخير أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي رمانة شيخ فاضل من
أهل الحياء والخشية وذوي السداجة والعفة ذاعبته وقد تأخر عني يوم وصولي بما تقرر
عذره وعفا على عتبه الاعتاب فقلت :

جف ابن أبي رمانة وجه مقدمي * ونكب عني معرضاً وتحامان

وحجب عني حبه غير جاهل * باني ضيف والمبرة من شارب

ولكن دراني مغريباً محققاً * وان طعامي لم يكن حب رمان

وذكر بعد نثرأ بديعاً بوقف عليه في محله انتهى . فأما الجنان هذا فليس هو من
بني الجنان المشهورين هنالك وهم أخوالي وقد أدركت ابنته لصلبه ام الحياء عجزاً
عمياء ، وأما أبو عبد الله محمد بن أبي عفيف فهو جدي أبو ام امي رحمهم الله تعالى
وأما أبو محمد بن سعيد بن محمد المسكلاقي فقد كان شيخنا الفقيه الحافظ أبو عبد الله
القورني يحكي ان السلطان أمان عتار استقدمه من مكناسة فقدم عليه ومعه أتباعه
وأعوانه فلما بلغ باب اسنور بالبلد الجديد تركهم مع بغلته ودخل على السلطان فعزله
من خطة القضاء بسبب عدم مبالاته به في تنفيذ الحق فخرج فوجدهم قروا عن بغلته
ثم بدا للسلطان من وقته فاسترجعه واستعطفه وأعاده لخطة فلما خرج وجدهم دائرين
بالبعلة وهذا شأن الناس كما قيل

الناس أعوان من واته دولته * وهم عليه اذا خافته أعوان

ومنهم الزغاشة وقد انتقل بعضهم لعدوة الاندلس وبعضهم لمراكش وقد ذكر
ابن عبد الملك في تكملة جماعته منهم ومن قدمائهم منهم أبو العباس أحمد بن محمد بن
حماد المتحن مع قرابته السعة كما تقدم كان فقيهاً حافظاً لكتاب الله تعالى كثير
التلاوة له متديناً ماهراً مع ذلك في معرفة الهيئة والتعديل عمي . آخر عمره فلما كان

عند الموت تلا « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » فحدث الحاضرون أن
 شئ تعالى ود عليه بصره قال حميد أخيه أبو الخطاب فلا أدري أنص لهم على ذلك أم
 استدلوا بالتلاوة ومنهم ابنه قاضيه أبو الحسن ومنهم صهره أبو اسحاق بن أبي حنيفة
 ومنهم العبادسة المشار اليهم فيما تقدم ومنهم أبو علي الوشيري الأكبر عم أبي
 عبيد الاصغر المتقدم الذكر ومنهم أبو علي الوشيري الأكبر ومنهم بنو العافية ومنهم
 أبو جابر والقلبيون وبواركاز ومنهم أبو عبد المان وما اشتهر من الحكاية عن بعضهم
 وهو والله أعلم أبو العباس أحمد بن يحيى بن عبد المان انه عرض له الشيطان فيما بين
 فاس ومكناسة فقال

اكنتم السابح في لجة * ولم تفلتوا ذوات الجناح
 هذا وقد عرضتم للفناء * فكيف لو خلدتم يا وقاح
 فأجابه ابن عبد المان ارتجالاً

بالعقل قد فصلنا ربنا * وسحر الفلك لنا والرياح
 والحوث والطير متاع لنا * فما لبث عليهم من جناح
 ومنهم بنو الصباغ وبنو العريف وبنو خالد ومنهم أبو الحسن بن حبق وقد حدثني
 الشيخ المعمر أبو زيد عبد الرحمان النيار مزور المؤذنين بحاجتها الاعظم ان ابن حبق
 هذا ريء في المنام بعد موته فسئل عما لقي من الله سبحانه فأشدد

حسنوا على وقبدوا * فعل القبيح مع الحسن
 ورأيت امرأة هائلاً * حتى لعمرى كدت ان
 وعفوا وذلك شأنهم * لله در أبي الحسن
 وانشدني شيخنا أبو الحسن علي بن متون الحسني لابن حبق المذكور

عد من الحسنات اصبح مفسداً * وبضدها ثوب الديانة دنسا
 عسي ويصبح للخطايا كاسباً * لم ينهه من الصباح ولا المساء

بعثت نفسه رحمه الله. ومن سكنها الأستاذ أبو العباس الفخري كانت شديدة الحفظ
 للقرآن العزيز يسأل عما قبل آية فيجيب مسرعاً وكان استاذ الاقراء واستاذ الغناء
 وكان له تلامذة يحسنون الصناعتين ومنهم قاضيه أبو المطرف بن عميرة وقد ذكره
 ابن الخطيب في الاحاطة ومنهم ابن عبدون حائر قصب الساق في الشعر والكتابة

ومنهم خطيبها ابو محمد عبد الله بن عون حدثني شيخنا ابو العباس احمد بن سعيد الخطيب ان السلطان ابا عنان لما ان سمع جزالته في خطبته قال لبعض خواصه: أهذا هذا؟ اعجابا به ومنهم خطيبها ابن عبد الله ومنهم ابن حرزوز ومنهم مؤلف زهر الآكام كان يسكن بدمشق النخلة على مقربة من دار الدباغ ومن سكنها واستوطنها ولي الله تعالى الشيخ الصالح العارف الورع الرباني ابو العباس سيدي احمد بن عاشر ومسجده بها معروف ومنها انتقل لسلاوفيه يقول ابن الخطيب في قصيدته العنية السلوية التي وجهها الى سلاييم خلف بها اهله وولده

. يولي الله فابداً وابتدر * واحد الآحاد في باب الورع

ومنهم الفقيه ابو موسى عمران الجناقي شيخ شيوخنا وكان قد قيد على المدونة عن شيخه ابي عمران موسى الصبوسي تقييداً لاباس به وهو الآن بجامع الاندلس من فاس كلاها الله تعالى. ومنهم الاستاذ المقرئ الشاعر المجيد الحسن شيخ شيوخنا ابو عبد الله محمد بن جابر الفسائي ذو التصانيف الحسان والقصائد العجيبة وله تسميط البردة النبوية للامام ابي عبد الله البوصيري ونظم المرقبة العليا في تعبير الرؤيا ببلدة مكناسة رجنز بديع سماء بنزهة الناظر لابن جابر. ومنهم الشيخ الصالح الزاهد المتواضع حسن الاخلاق ابو محمد عبد الله بن احمد المتبر - به حياً وميتاً له بيت حسب بفاس كان ارتحل منها لمشرق فخرج ونقي الاحبار من لمشاخ فأشار به بعضهم في بقال . سلطان مكناسة فاستوطنها حتى توفي بها وله مناقب كثيرة رضى الله تعالى عنه . ومنهم ابو زكرياء صبان الشيخ الصالح المدفون بابي سهل ومنهم الشيخ ابو زكرياء ان ترحالين يقال سماء البربر بذلك لشجرات امرها بالارتحال من مناقبها فارتحلت والله تعالى اعلم وهو الشيخ الصالح المدفون بوادي الكلي. ومنهم شيخ شيوخنا ابو عبد الله محمد بن عمر بن الفتوح اصله من مدينة تلمسان فانتقل الى فاس ثم الى مكناسة فأقام بها حتى مات هنالك رحمه الله تعالى حدثني شيخنا ابو زيد عبد الرحمان القرموني وكان قد ارتحل اليه من فاس والى رفيقه في العبادة ابي محمد عبد الله بن احمد المذكور فأقام بخدمة بمدينة مكناسة تسعة اعوام ومن ثم كانت معرفته بالذي رحمه الله تعالى ان السبب في انقطاعه للعبادة وزهده في الدنيا انه كان في أيام شبابه حسن المنظر نظيف الثياب وكان من نجباء طلبة العلم فمرت به امرأة فحس يسرق النظر اليها فقالت له اتق الله يا ابن الفتوح

«يعلم خاتمة الاعمين وما تخفى صدور» فنفعه الله بكلامها ولما انتقل من لسان الى فاس
 اخذ الفقه عن شيخ الجماعة ابي موسى عيسى بن علال المصمودي وكان يقرأ الآية
 ابن مالك بالمدرسة المتوكية ويقوم اوده بجامعة المرتبة عليها ثم عرضت عليه رئاسة
 التدريس لفقه بمدرسة المطارين فاستخار الله تعالى فقرأ في المنام عجوزاً شططاء سقت
 له في عمارية بانواع الملاحى فعمّنها الدنيا فلم يقبلها وكان يضيق ذرعه من مخالطة
 من لا يحفظ لسانه عن الغيبة وغيرها من كلام الهجر ويتمنى لو وجد رفقاء يعينونه على
 الخير فذهب بعض التاصيين على الشيخ الصالح ابي محمد عبد الله بن أحمد واصحابه فارتحل
 اية مدينة مكندسة فظفر ببغته وصار كما قيل : (وافق شن حبه واقفه فعتقه)
 وحدثني والذي رحمه الله انه كان يراه يقعد الى المساجد الحالية ويعمرها بقراءة
 القرآن العزيز وحدثني ابو زيد المزوار انه كان من ادخل مختصر خليل لهذه البلاد
 عام خمسة من القرن التاسع وانه اصابه الطاعون وهو يقرأ البخاري بالجامع الاعظم من
 مكندسة عند خزنة الكسب وذلك عام ثمانية عشر من القرن المذكور فحمل الى بيته
 بالمدرسة الجديدة فلما كان عند اموت لقته بعض الناس فقال له: الشغل بالذكر عن
 المذكور غفلة، وحدثني شيخنا الفقيه العلامة ابو عبد الله القوري انه كان يقول سبب
 ارحالى لفاس في طلب الفقه مسألتان سئلتني عنها فلم يحضره جواباً مع شهرتهما مسألة
 المكث من المنذور وهي في كتاب الايمان والمنذور من المدونة، ومسألة: من اشترى
 حاربه فشرط انها ثيب فالقها بكرأ - ما حضر اصحابنا فيها شيء غير انهم قالوا هذا
 كمن ناف له قف ووجد حماماً وهي منصوبة في نوزل بين سهل انه ان شرط ذلك
 لغرض كما اذا كان شيخاً كبيراً لا يطيق الاقتراع او كان حلف الا بطلاً بكرة او ان
 لا يملكها فله ردها والا فلا، وحدثني شيخنا ابو عبد الله القوري ايضاً انه لما كان
 بمكندسة قرضت احدي يديه فلم يتمكن له مسح اذيه الا باليد الصحيحة فلما مسح
 بها اليمنى وأراد ان يمسحها باليسرى اشكل عليه الامر في اسيناف الماء فلم يذكر
 فيه نصاً فاحتاط وجديد وكان بينه وبين شيخ الجماعة ابي محمد عبد الله العبدوسي ود
 ولاء وكان كل منهما قد صاحب فكتب اليه يخبره بما نزل به وبما فعل وهل يذكر
 فيها نصاً فأجابه لا اذكر فيها شيئاً ولو نزل بي مثل ذلك لقلت فعلت، ومنهم شيخ
 شوحنا الفقيه الراهد الرباني المريني ابو عبد الله محمد بن سعيد الحباك العفجيسي اخو

شيخنا الخطيب أبي العباس بن سعيد وشيخه كان والله تعالى أعلم في مقام الجلال لأن
الغالب عليه القبض وكان معاصره الشيخ أبو محمد بن أحمد المذكور في مقام الجلال لأن
الغالب عليه البسط والله سبحانه أعلم ومنهم شيخ شيخنا أبو عيسى موسى بن إسماعيل
كان إماماً في علم العربية يقوم على تسهيل ابن مالك ويقرر ألفيته بجامعها الأعظم تقريراً
حسناً وكثيراً ما ينشد متمثلاً :

خلت الديار فسدت غير مسود * ومن الشقاء تفردني بالسود

حدثني بذلك عنه الشيخ المعمر أبو عبد الله بن الأستاذ بن جابر المذكور. ومنهم
الشيخ الذكي المتقن الحجة الحاج أبو عبد الله محمد بن عزوز الصنهاجي جود القرآن
العزير على الأستاذ ابن جابر المذكور وحفظ الحديث والتاريخ وتفح في الطلب
وارتحل إلى المشرق ولقي به جماعة من الأعلام وأخذ منهم كالإمام العلامة أبي عبد
الله بن مرزوق الحفيد وغيره ورجع إلى بلده مكناًسة وانتفع به شيخنا أبو عبد الله
القوري كثيراً وحدثني عنه أنه نزل ببعض المشاركة فقدم له طعاماً عندهم يقال الباذن
فلم يصب منه كبير شيء فقال ما لك لا تأكل فقال أنه لم يكن بارض قومي فأجذبني
إعافه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الضب فعم أنه من أهل الحديث فبانغ
في إكرامه وحدثني عنه أنه سمع الإمام الرباني أبا عبد الله البلالي الذي اختصر الأحياء
للإمام أبي حامد الغزالي يقول الحديث الذي جاء فيه: الباذنجان لما أكل له، أصح من
الحديث الذي جاء فيه: ماء زمزم لما شرب له، أو قال هو أمّن منه سنداً أو كما قال، قال
شيخنا أبو عبد الله القوري وهذا خلاف المعروف ثم أعاد الرحلة إلى بلاد المشرق
فمات هنالك رحمه الله عليه، ثم تزوج زوجته دحمة بنت الجنان رحمه الله عليهما فهي أمي
والحاج المذكور والد اخوتي لامي وقد كانت أمي حفظت منه حديثاً كثيراً من
الصحاح وكانت أن يحيط حفظاً بالأدعية الواردة في الصحاح فحفظت منها كثيراً في
أيام الصغر فلم أتع في حفظه بعد الكبير والله الحمد وكانت رحمها الله تعالى ملازمة
لدرس القرآن العزيز في المصحف وكان عليها كثيراً من تفسير قصصه وأخباره
فتفعلنا بذلك في الصغر غاية برد الله تعالى ضريحها، وحدثني عنه بحكايات وفوائد يطول
جلسها وكان مع ذلك جيد القريحة في الشعر، حدثني الشيخ المعمر أبو عبد الله بن
الأستاذ بن جابر قال خرج أبي مرة بتلامذته لينزههم بعرة كانت له بوادي أبي

وكان اذا اراد لقاء الشيخ محمد بن عبد الله بن واجساج تلقاه بالبحيرة التي تولى
عرستها في ذلك التاريخ كما تقدم وكان ببلده مكرماً وجيهاً يزوره قضائه وطلبتة
واعيانه ، وأما القاسم ابنه فولى القضاء بمجهد المغرب وبمجهات غرناطة ثم انقبض عن
ذلك واقتصر على الملاحة ببلدة تاورا اوفر ما كانوا عدداً وثروة ومعهم السودان
المسمون هنالك عبيد الحرمة رجال السودان يلعبون الثقاف بالحديد ويرقصون
ونسائهم يضربون آلة اللب ويختين والزامر يزمر عليهم باي قرون وكانت هذه المناكير
من عوائدهم في افراحهم واقام بتاورا حتى مات رحمه الله تعالى ، وأما ابنه ابو الخطاب
سهل الذي نقلنا من تقييده وذكر انه ولد بوادي ءاش واتحل به ابوه الى تاورا ثم
ارتحل هو بعد موت ابيه هناك الى الاندلس ءاخر سنة ست عشرة وستائة وذلك لما
توالت اسباب الحراب على تاورا وغيرها من الحواضر فولى بالاندلس قضاء اماكن
كثيرة مرة في رندة ومرة في ءاسجة ومرة في غيرها وولى مرة قضاء طنجة ثم قدم
آخذاً مسدداً بمروسة والبقاء لله وحده وأظن أي وقت في بعض التواريخ على ان بنى
عبد وس من جملة قرى مكناسة كبنى برنوس والمفهوم من ذلك ان اهلها من جملة قائل
مكناسة واليه ينسب العبادسة من بنى معطى اعقاب الشيخ الفقيه المشاور المدرس
أبي عمران موسى العبدوسي فمنهم ولده الفقيه المحدث الحافظ ابو القاسم وولده ايضاً
الفقيه أبو عبد الله وحفيده الفقيه المحدث الحجة شيخ شيوخنا ابو محمد عبد الله بن محمد
ابن موسى بن معطى العبدوسي وهم بيت كبير من بيوت العلم اقام فيهم العلم ورياسته
دهراً طويلاً حتى في نسائهم وءاخر علمائهم ام هاني العبدوسية اخت ابى محمد المذكور
ولها ظهر بنو مريس وشنوا الغارات على بسائط المغرب واختل امر الموحدين كان من
ثورة على ابن العافية بمدينة مكناسة وقيامه على عامل الموحدين وتمكنه البلد من بنى
مريس ثم فرارهم عنها ورجوع الموحدين اليها واعتصام علي ابن العافية بالقلوع من
جبل زرهون وخروج خطيبها الشيخ الصالح استبرك به ابى علي منصور بن حرروز
مع صبيان المكاتب بالواحد على رؤوسهم شغاه لاهل بلدهم عند سلطان الموحدين
لما قدم عليهم وقبول شفاعتهم ما هو معروف ثم ازداد امر الموحدين ضعفاً وعلا أمر
بنى مريس فعادت اليهم مدينة مكناسة وذكر ابن خلدون ان امير بني مريس امر
اهل مكناسة حينئذ ان يوجهوا بيعتهم الى الحفصى سلطان تونس فوجهوها اليه

عمار واغفل تلميذه ابا عبد الله بن عزوز فلم يدعه فيهم فقال يعاتبه في ذلك
ليت شعري وذاك ليس عفتي * بما يرد الشوات حرف تني
اي ذنب قرفته يا عمادي * فصرنا من : بكم قرب عدني
ومنحننا الاعراض اذ عرض لنا * من فاعظم بذلك الذنب مني
وهب الذنب فيه يعظم هبلا * منكم كان حسن عفو وطني
في ابيات كثيرة فأجابه الاستاذ بقصيدة علق بحفظي منها :

بابدياً فاق البديع بنظم * في عروض من الحقيق ووزن
يعني بديع الزمان وعلامه همدان . وكان له صديق من بني العافية يقال له يحيى وهو
اخو الفقيه القاضي ابي الزفر فرض فكواه ضييب كان هنالك يقال له اس سام فوات
فرثاه بقصيدة رائية يقول فيها معرضاً بقتل الطيب ايه بالكي :

ولقد كوى قلمي فراقك كية * كادت تكون كما كواك الخور

ومنهم شيخ شيوخنا الفقيه الخير الناصح ابو عبد الله محمد بن العافية المعروف
بالاحول كان عية نصح شيوخنا القوري اتفق به كثيراً وله موضوع في المسائل الواقعة
في المدونة في غير مواضعها وقد كان ابو العباس احمد قاصياً بالديار المذكورة فلما
عرضت عليه الحطة بعد ابيه زهد فيها وهو اخو ابي العز وحبي المذكورين فوق هذا .
ومنهم الفقيه ابو الحسن علي بن عمر وقد تقدم ذكر ابي الحسن بالتاجدوتي . ومنهم
الفقيه المشاور المفتي الحجة ابو القاسم بن حبيب الحريشي كان ابو محمد عبد الله
العبدوعى يثني عليه في مجلسه وقد ادركته بالسن فقط . ومنهم الفقيه العدل المعروف
بابن سعدون . ومن ادركت منهم الفقيه الاستاذ القاضي ابو عبد الله القرطبي والقاضي
الاعدل الثبت ابو عبد الله بن اخصري والشيوخ المعمر العدل الاديب المجيد الشاعر
المفلق ابو زيد عبد الرحمن بن ثابت وقد كان في اسلافه من ولي قضاء المدينة المذكورة
فيما اخبرني به شيخنا القوزي رحمه الله حديثي ابن ثابت المذكور انه كانت بينه وبين
جدي للام ابي زيد عبد الرحمن بن الجنان رحمه الله تعالى صداقة فكانت من حسن
عهده يراعى في ذلك على صغر سني وحديثي بمناخسة كانت بينه وبين الاستاذ ابي عبد
الله بن جابر بسبب القصيدة اللامية النبوية التي قالها في ايام اموال ومطلعها :

ألا حي الديار ديار يسلي * ومر بها اذا ادلجت ليل

ومهما جئت مضاهها سحيرا * فجرد للتحية فيه ذبلا
وهي قصيدة كبيرة عجيبة مشهورة عندهم وقال له ابو محمد عبد الله البغدوسي ذات يوم
وقد رءاه قوس او كاد : لا تنحني يا شيخ لا تنحن . فقال محبباً له بديهة :
يا سليل الكرام نفسي فداكا * قلت لا تنحني وأنت كذاك
خفض الظهر فاعل الدهر منا * مع حال عدمت منها انفكاكا
ختم الله للجميع بخير * انه قادر على فعل ذاك
ومنهم الفقيه العدل الارضى أبو محمد عبد الله بن العريف كان مجتهداً في طلب
العلم ورحل بسببه لفاس وروى عن الاستاذ ابى زيد الحادري مقصورة شيخه ابى زيد
المكودي التي مطلعها

ارقتى بارق نجد اذ سرى * بومض ما بين فرادى وثنا
اهبى اذ هب منه موهناً * ما سد ما بين الثريا والثرى
فبأله من بارق ذكرني * من الهوى ما كنت عنه في غنى
اثار شوقاً كان منى كامناً * بين ضلوعي طال ما فيها نوى

وروى عنه وعن غيره غيرها وظهرت نجابته الا انه اخترمه التنية في صغره كما اتفق
لمعاصره ابى الفضل ان المجراد بمدينة سلا وكان أمر الله قدر أمقدوراً ولم أدرك هذا الفاضل
وقد كانت بيننا وبين نجله الفقيه القاضي الارضى الاعلى ابى عبد الله محبة ومواخاة
وكان له حسن عهد ما رأيته لغيره رحمه الله تعالى ومن أدركته وزرته الشيخ الصالح
الملاى ذوالمكاشفات التي لا تحصى والبركات التي لا تستقصى أبو يوسف يعقوب المعروف
بابي فقف توارثت كراماته عند الخاصة والعامة من اهل مكناسة وفاس وغيرها وفي
حفظي منها ما لو دوت له حرج في كرايس والله تعالى اعلم وكفى بما ظهر عند موته
كرامة وبركة وذلك انه لما احتمل الى قبره خارج باب البراذعين منها اتبعته طير
بيض ما ريت الا في ذلك الوقت فكانت ترقرق على نعشه حتى ادخل قبره رضى الله
تعالى عنه ورءا ذلك كل من شهد جنازته من الرجال ومن النساء وقد خرج اهل
المدينة كلهم الامن شد ولم يكن هنالك يومئذ وكنت اقرأ في فاس ولو تتبعنا
من كان فيها من الاعيان والسادات ما طمعنا بالاحاطة بعشر عشره وقد كنت
اردت ان اجمع من امكن منهم مرتين على حروف المعجم فجمعت منهم حلة صالحة

ثم خدت القريحة عن ذلك وجدت الطبيعة وعافت العوائق وشط المزار وعادت عوائد
بيتنا وخطوب ومابرز من الغيب فهو المختار وربك يخلق ما يشاء ويختار ولو لم يكن
من مفاخر مدينة مكناسة الا اشتال عملها على مدفن ولي الله تعالى الجمع عليه شيخ
المشائخ سيدي أبي يعزى لكان كافياً وقد ذكرت في الفهرسة الموسومة بالتعلل برسوم
الاسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد بعض من اقيت بها كالشيخ الفقيه المتقن أبي زيد
عبد الرحمان الكاواني والشيخ الاستاذ أبي الحسن بن منون الحسني والشيخ الخطيب
الاحفل أبي العباس احمد بن سعيد الفقيسي كما ذكرت هناك شيخنا العلامة أبا عبد
الله القوري فيمن اقيت بمدينة قاس كلاها الله تعالى وكان هذان الشيخان قد ارتحلا من
مكناسة الى قاس وسبب ارتحالهما مشهور عند الناس فلتقبض عنه العنان والله تعالى
المستعان وقد رأيت ان اختم هذا المجموع بما ذكر أبو عبد الله بن الخطيب في
رحلته المسماة بنفاضة الجراب فيمن بقي من الانتخاب لما عرف بهذه المدينة قال وأظلت
مدينة مكناسة في مظهر المجد رافلة في حلة الروح مبسمة عن شنب المياه العذبة سافرة
عن اجل المرمي، قد احكم وضعها الذي اخرج المرعى، قيد البصر وفذلكة الحسن
فزلنا بها منزلا لا يستطيع العين ان تخلفه حسناً ووضعاً من بلد دارت به الجاشر
العظيمة والتفت بسوره الزياتين المفيدة وراق بخارجه السلطان المستخلص الذي يسمو اليه الطرف
رحب ساحة والتفاف شجره ونباهة تبينه واشراف ربوه ومثلت بازائها الراوية القديمة المعدة
للوارد ذات البركة النامية والمأذنة السامية والمرافق المتيسرة يصاحبها الجنان البديع
المنصب الحصين النلق الناص بالسايبة والجوابة في الارض يتفنون من فضل الله، تقابلها
غربا الزاوية الحديثة المربية برواق الشبية ومزية الجدة والانفساح وتفنن الاحتفال
والزاويتان معاً من بناء امير المسلمين ابي الحسن المريني جده الله تعالى عليه رحمته
يفضله الا ان الاولى بناها في دولة ابيه والثانية بناها بعد استقلاله بالدولة ثم قال ابن
الخطيب وبداخلها مدارس ثلاث لبت العلم كلقت به الملوك الجليلة الهمم واخذها التجديد
فجاءت فائقة الحسن ماشئت من ابواب محاسنة وبرك فياضة تقذف فيها صابي المساء
اعتناق أسدية وفيها خزائن الكتب والجراية الدارة على العلماء والمتعلمين وتفضل هذه
المدينة كثيراً من لداتها بصحة الهواء وتبحر أصناف الفواكه وتعمير الخزين ومداومة
البر لجوار ترابها سليماً من الفساد معافي من العفن اذ تقام ساحات منازلها غالباً على

اطباق الآلاف من الاقوات تنقلها المواريث ويصاحبها التعمير وتتجاف عنها الارض
ومحاسن هذه البلدة المباركة حجة قال ابن عبدون من اهلها والله دره :
ان تقتخر فاس بما في طيها * وبأنها في زيتها حسناء
يكفيك من مكناسة ارجاؤها * والاطيان هواؤها والماء
وبهايتها شرقاً حبل زرهون المتفجر العيون الظاهر البركة المتراحم العمران
الكثير الزيتون والاشجار قد جلله الله سكرآ ورعاً حسناً فهو عنصر الخير ومادة
الحجي وفي المدينة دور نسيه ونفى اصلحة والله تعالى من اشتملت عليه بقدرة وفيها
أقول

بالحسن من مكناسة الزيتون * قد صبح عند الناظر المقتون (١)
فضل الهواء وصحة الماء النسي * يجرى بها وسلامة الخزون
سحت عليها كل عين رة * للمزن هامية الغمام هتون
فاحر خد الورد بين ابلح * واقترنغر الزهر فوق غصون
ولقد كفهاها شاهداً مهما ادعت * قصب السباق القرب من ززهون
جل تصاحكت البروق بجوه * فكت عذاب مياهاه بعيون
وكان هو بررى نافذ * في لوحه والتين والزيتون
حيث من بلد خصب ارضه * متوى امان او متاخ امون
وضقت عليك من الالاء عناية * تكسوك ثوبي امنة وسكون

اتتهى ما قصدنا نقله من نقاضة الجراب ولم اكن وقفت عليها حين ابتدأت هذا
المجموع فلذلك اقتضرت في صدره على الحسة الايات التي عقلت بحفظي من هذه
القصيدية وقال في ريحانة الكتاب ونجعة المتاب مكناسة مدينة أصيلة وشعب للمحاسن
وفصيحة فضلها الله تعالى ورعاها واخرج منها ماءها ومرعاها فجانبها مريع وخيرها
سريع ووضعها له في فقه الفضائل قريع عدل فيها الزمان وانسدل الامان وفاقت
(١) قال كاتبه سأل الله وجبت بطرة هذه الايات يدين لبعض الادباء بتاريخ ١١٢٥ وهما

الله درك لو رأيت زمائسا * ما صبح عند الناظر المقتون
فسد الهوى واتاح كل بلية * ومضرة بسلامة الخزون

نسأل الله اللطف

الفواكه فواكهها ولا سيما الرمان وحفظ أوقاتها الاختزان ولطفت فيها الاواني والكيزان ودفا من الحضرة جوارها فكثرت فصادها من الوزراء وزوارها وبها المدارس والفقهاء ولتصبتها الابهة والبهة والمقاصير والابها اه قال المؤلف محمد بن احمد بن محمد بن محمد بن عمار ابن غازي العثماني منسوباً لابي عثمان وهو من قبيلة كتامة حسباً ذكر ابن خلدون في كتاب العبر نشأت بهذا المدينة كما تشأبها اسلافي وقرأت بها ثم ارتحلت الى مدينة فاس في طلب العلم أظنه سنة ثمان وخسين وثمانمائة فأقمت بها ماشاء الله تعالى ولقيت من الاشياخ بالمدينتين جماعة ذكرت مشاهيرهم في الفهرسة التي سميتها بـ (القطر) رسوم الاسناد بعد انتقال اهل المنزل والناد ثم عدت الى مدينة مكناسة فأقمت بها بين اهل وعشيرة زماناً ثم انتقلت الى مدينة فاس كلاها الله تعالى فاستوطنتها

وكان ما كان مما است اذكركم * فظن خيراً ولا تستل عن الخبر

وانما الدنيا قنطرة للعباد يعبرون عليها ليوم المعاد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رماداً بعد ما هو ساطع

وما المسال والاهلون الا اودية * ولا بد من يوم ترد الودائع

والله سبحانه يحتم لنا ولكم بالحسن ويجمعنا وإياكم في المقر الأسنى بحجاء سيدنا ونبينا ومولانا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وداخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

الحمد لله - خرج المؤلف رحمه الله في آخر عمره لقصر كتامه المذكور بقصد الحراسة فلم به مرض قناب لفاس واستمر مرضه الى ان توفي بها اثر صلاة الظهر من يوم الاربعاء تاسع جدى الاولى سنة تسع عشرة وتسعمائة وصلى عليه ولله أبو العباس سيدي احمد بالمقابر بالكفادين الموضع المعروف داخل باب الفتوح عدوة فاس الاندلس صبيحة يوم الخميس التالي له واحتفل الناس لحضور جنازته احتفالاً عظيماً حضرها السلطان ووجوه دولته فن دونه وأتبعوه ذكراً حسناً وثناء جميلاً وتأسفوا لفقدته اسفاً عظيماً رحمه الله ورضى عنه ونفع به اه من خط تلمينه سيدي عبد الواحد الوتري رحمه الله بواسطتين